التنوع الدلالي للفظة (السماء)
في القرآن الكريم

((The semantic diversity of the word (sky) in the Holy Qur'an))

أ. م. د. محمد جبار حداد

A.M.D. Mohammed Jabbar Haddad

المديرية العامة لتربية الرصافة الثالثة

Education /General Directorate of Rusafah 3

dmhmdalhdadalsady@gmail.com

الملخص

عمدت في هذه المقالة إلى تحليلِ بعضِ آياتِ الأنواءِ الجويَّةِ ولمسنا الدقةَ في ذكرِ الخطواتِ والعملياتِ التي تحدثُ في الطبيعةِ عبرَ تعبيرٍ قرآنيٍّ جليلٍ , اذ حققَ الإيجازُ في صياغةِ العبارةِ القرآنيةِ بعداً علمياً مهماً في الكشفِ عنْ حقائقَ علميةٍ كبيرةٍ عبرَ ألفاظٍ محدودةٍ موجزةٍ غايةَ الإيجازِ منها تلك الالفاظ التي استخدمت في لفظة (السماء) التي وردت في القران الكريم.

The summary:

In this article, I proceeded to analyze some of the verses of the Kufic An-Nawa', and we touched upon precisely the experimental steps that speak in nature through a sublime Qur'anic expression. As it achieved brevity in the work, the Qur'anic works provide an important scientific dimension in revealing great scientific facts through limited, extremely concise words, including those words. . Which was used in the word (sky) that appeared in the Holy Qur'an.

التنوع الدلالي للفظة (السماء)

المقدمة:

أشار المُفسِّرون والنُّحاة وأصحاب المُعجمات إلى الدلالة اللغوية لكثير من الألفاظ التي تتعلق بالأنواء الجوية، محددين المعنى اللغوي لها، وأصل استعمالها في اللغة، ومعلِّقين على ورودها في القرآن الكريم، وموضحين الدلالة التي تعطيها هذه الألفاظ بمقتضى السياق الذي وردت فيه.

وفي هذه المقالة ساعمل على تتبع جانب من هذه الالفاظ ودلالاتها التي وردت فيها ومنها لفظة (السماء) وما مثلته وأعطته من معانٍ داخل سياق الآية الكريمة , اذ وردت الكثير من الألفاظ التي تتعلّق بالسماء في آيات الأنواء الجوية، ومن هذه الالفاظ:

١- لفظة الحُسُوم: (ح س م): الحاء والسين والميم أصلُ واحدٌ وهو قطع الشيء عن آخره [١]، وهي من الألفاظ التي وردت من آيات الأنواء الجوية، وهي تتعلّق في دلالتها بالسماء، وفي ذلك مصداقٌ لقوله تعالى:(سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا)[٢]، حيث أشار المُفسِّرون والنُّحاة وأصحاب المُعجمات إلى هذه اللفظة ودلالتها، وأول إشارة لها نجدها عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (رحمه الله) (ت ١٧٠هـ)، حيث ذكرها وأشار إلى مدلولها اللغوي بقوله: ((والحُسُوم: الشُّؤم، تقول: هذه ليالي الحُسُوم تحسم الخير عن أهلها كما حُسِمَ عن قوم عاد)) [٣].

وتبعه أصحاب المُعجمات الأخرى فلم يخرجوا عمّا قرَّره الخليل من دلالة لهذه اللفظة، حيث ذكر ابن دريد الأزدي الملقب بـ (كراع النمل) (ت ٣٠٩هـ) قائلًا: ((والأيام الحُسُوم: الدّائمة في الشَّرّ والُّشؤم خاصّة)) [٤].

ولم يختلف السمين الحلبي رحمه الله (ت ٧٥٦هـ) عمنَّ سبقه فقد بين لفظة (الحسوم) قائلًا: ((نَحِسات حسمت كل خير، واستأصلت كل بركة، أو متتابعة هبوب الرياح، ما خفتت ساعة، حتى أتت عليهم تمثيلًا لتتابعها بتتابع فعل الحاسِم في إعادة الكي على الدَّاء مرةً بعد أخرى حتى ينحسم)).

---

(١) مقاييس اللغة: ٥٧/٢ ، وينظر: المعجم القرآني: م ج: ٣ /٩٣٧.

(٢) سورة الحاقة، الآية ٧.

(٣) العين:٦٥٣/٢.

(٤) جمهرة اللغة:٥٣٤/١.

كذلك قال المبرد: الحسوم: الفصل حسمتُ الشيء من الشيء فصلته منه ومنه الحسام.قال الشاعر[١]:

فأرسلت ريحًا دبورًا عقيمًا فدارت عليهم فكانت حَسُومًا

وقال الليث: ((هي الشُّؤم: يقال: هذه ليالي الحُسوم، أي: تَحسم الخير عن أهلها)) [٢].

ويرى الباحث في أصل هذه المفردة أنَّ وضعها ودلالتها عند أهل المعاجم بدءًا من الخليل وتبعه باقي المُفسِّرين وأصحاب المعاجم تنحصر في (الشُّؤم) أي تحسم الخير عن أهلها كما حسم عن قوم عاد، ومقتضى الآية الكريمة وسياقها يحتمل هذه الدلالة اللغوية التي ذكرناها في لفظة الحسوم.

٢ - لفظة صرَّ (ص ر): ((الصاد والراء أصول... ومن الباب: الإصرار: العزم على الشيء، وكذلك الإصرار: الثبات على الشيء... وأمَّا البَرْد والحرُّ، وهو الضّر، يقال: أصاب النّبْتَ صرٌ إذا أصابه بَرْدٌ يضر به، والصِّرّ: صِرُّ الريح البارد وأمَّا الصوت، من ذلك: الصَّرَّةُ: شِدَّةُ الصِّياح)) [٣].

وأشار ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) إلى هذه اللفظة قائلًا: ((صَرْصَر في محل قاصر من البازي وما أشبه. قال الشاعر:[٤]

ذاكم سوادة يجلو مقلتي لحم باز يصرصر فوق المربأ العالي

وريح صرصر: باردة، هكذا فسَّر والله أعلم. وريح صَّر وصرصر: باردة)) [٥].

كذلك وقف الأزهري (ت ٣٧٠هـ) معلقًا على هذه اللفظة قائلًا: ((وقال ابن السكّيت: ريحٌ صَرْصَر فيه قولان. يقال: أصلها من الصِّرِّ وهو البرد، فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل، كما قالوا: تجفيف، واصله تجفِّف.ويقال: هو من صرير الباب، ومن الصَّرَّة وهو الضمَّة)).

وقال ابن السكّيت: ((يقال: صَرَّ الفرس أذنيه، فإذا لم يوقعوا قالوا: أصرَّ الفرس، وذلك إذا جمع أذنيه وعَزمَ على الشّدّة)) [٦]. وممن ذكر هذه الدلالة للفظة الصرَّ من أصحاب المُعجمات الرازي[٧]، وابن

(١) البيت:لم اهتد الى قائله ينظر:الزاهر في معاني كلمات الناس :٢٢٥ .

(٢) الدر المصون:٤٢٤/١٠ - ٤٢٥.

(٣) مقاييس اللغة: ٣١/ ٢٨٢ - ٢٨٤.

(٤) البيت:لجرير في ديوانه:١ /٤٥٥ .

(٥) الجمهرة:١٢١/١.

(٦) التهذيب:٧٦/١٢ .

(٧) مختار الصحاح:١٧٥/١.

منظور[١]، ومرتضى الزبيدي[٢].

لذلك نجد الزجاج (ت ٣١١هـ) وقف معلقًا على المعنى اللغوي لهذه اللفظة قائلًا: ((بريحٍ صرصرٍ عاتية: حيث قال: بريح شديدة البرد جدًا، والصَّرصرُ شدة البرد، وصرصر متكرر فيها البرد، كما تقول: قد قلقلت الشيء، وأقللت الشيء إذا رفعته من مكانه، إلا أنَّ قلقلته ردته أي كرْرتُ رفعه، وأَقْلَلْته رفعته فليس فيه دليل تكرير، وكذلك صرصر وصَلصَل وصَل)).

٣ - لفظة الطارق: (ط ر ق): ((الطّاء، والرّاء، والقاف، أربعة أصول أحدهما: الإتيان مساءً، والثاني: الضَّرب، والثالث: جنس من استرخاء الشيء، والرابع: خصف شيء عن شيء))[٣]،

((فالأول الطرق، ويقال أَنَّهُ إتيان المنزل ليلًا، ورجل طراقة، إذا كان يسري حتى يطرق أهله ليلًا... وكل من أتى ليلًا فقد طرق... ،ويقولون: تطارقت الإبل، إذا جاءت يتبع بعضها بعضًا، كذلك الطّريق: وهو النّخل الذي على صفٍّ واحد، وهذا تشبيه بالطريق في تتابعه وعلوُّه الأرض)) [٤].

وقد أشار المُفسِّرون والنُّحاة وأصحاب المُعجمات إلى هذه اللفظة ودلالتها، وأول من أشار لها هو الخليل بن أحمد في آية الأنواء الجوية في قوله تعالى(وَالسَّمَاء وَالطَّارِقِ)[٥]، حيث عبَّرَ عن دلالتها اللغوية قائلًا: ((يقال الطارق كوكب الصبح)) [٦].أمَّا عند مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) حيث قال: ((وجمع الطّارق أطراق، كناصر وأنصار، وقال ابن الزبير[٧]:

أبــت عـيـنـه لا تـــذوق الـــرُّقـــاد وعـــاودهـــا بـعـــضُ أطـــراقِـهـــا

وكذلك قال: وطارقٌ بين الذَّرعين، تشبيهًا بطراق النّعل في الهيئة [٨].

وقال ابن هرمة[٩]:

وطـــــارق هـــم قـــد قريـــت هلالـــة يـخُـبَّ إذا اعـتـلَّ الـمـطـيَّ ورسُـمُ

أراد أَنَّهُ قد قرى لهم الطّارق سير هذا البعير.

---

(١) لسان العرب:٤٤٥٠.

(٢) تاج العروس:٣٠٢/١٢.

(٣) المعجم القرآني: م ج:٤٩/٢.

(٤) مقاييس للغة : ٤٤٩/٣ – ٥٥٢ ، وينظر: الأساس: ١٢٢/١ ، وينظر: المعجم القرآني: م ج :٢ /٤٩.

(٥) سورة الطارق، الآية ١.

(٦) العين:٩٨/٥.

(٧) البيت :ذكر في لسان العرب:١ /٢١٥ .وفي تاج العروس من جواهر القاموس:٢٦ /٨٢ .

(٨) تاج العروس:٨٢/٢٦.

(٩) البيت:لأبن هرمة في ديوانه:١٩٧ .

٥ - لفظة النجم: (ن ج م): ((النون والجيم والميم أصل صحيح يدلُّ على طلوع وظهور، ونَجَم النَّجمُ طلعَ، ونجمُ السِّن والقرَن: طلعا. والنّجم: الثُّريا اسم لها، وإذا قالوا: طلعَ النجم فإنهم يريدونها، وليس لهذا الحديث نجمُ، أي: أصل ومطلع، والنجم من النبات ما لم يكن له ساق من نَجَمَ، إذا طلعَ)) [١].

وقد أشار المُفسِرون والنُّحاة وأصحاب المُعجمات إلى هذه اللفظة ودلالتها، وأول من أشار لهذا اللفظ على وقف دلالة النجم الثاقب: المضيء، وكذلك يقال للطائر إذا لحق ببطن السماء: قد ثقب، الفراء (ت ٢٠٧هـ) معلقًا على هذه اللفظة قائلًا: ((النجم الثاقب: المضيء، والعرب تقول: اثقب نارك للموقد، ويقال: أنَّ الثاقب: هو النجم الذي يقال له زحل، و(الثاقب): الذي قد ارتفع على النجوم، والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء ارتفاعًا: قد ثقب)) [٢].

في حين جاء النَّحاس (ت ٣٣٨هـ) ليوضح المعنى والدلالة لهذه اللفظة قائلًا: ((الثاقب: المضيء، وحكى الفراء: ثقب أي ارتفع وانه زحل، قيل له: الثاقب لارتفاعه، وقال غيره: لطلوعه من المشرق كأنه يثقب موضعه)) [٣]. وتابعه الزمخشري,وابن عطية, وأبو حيان.

بينما ورد ذكر هذه اللفظة عند أحمد ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، حيث بين موضع الشاهد في الآية القرآنية: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ قائلًا: ((هو نجم ينفُذُ السماوات كلها نوره. ويقال: ثقبتُ النار إذا ذكَّيتها، وذلك الشّيء ثقبةً وذكوةً، وإنما قيل ذلك؛ لأنَّ ضوءها ينفذ)) [٤]. وتابعه ابن منظور.

ويبدو لي أنَّ الدلالة اللغوية للفظة النجم الثاقب التي ذكرها المُفسِرون وأصحاب المُعجمات وأصل وضعها تدل على أنَّ النجم الثاقب إنما يراد به النجم المضيء وهو ما يقصد به في الآية الكريمة ويحدده سياقها.

٦ - لفظة الرجع(ر ج ع): ((الرّاء والجيم والعين أصلُ كبير مطرد منقاس، يدلُّ على ردٍّ وتكرار))[٥]. وأشار المُفسِرون والنُّحاة وأصحاب المُعجمات إلى هذه اللفظة ودلالتها، فأول من أشار لهذه اللفظة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)حيث علَّقَ على آية الأنواء الجوية في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾[٦]،((فإن دلالة اللفظة (الرّجع) عبَّرَ عنها الخليل قائلًا: ((أي كانت السماوات لا ينزل

(١) مقاييس اللغة: ٣٩٦/٥ - ٣٩٧.

(٢) معاني القرآن:٢٥٤/٣.

(٣) إعراب القرآن:١٢٣/٥.

(٤) مقاييس اللغة:٣٨٢/١.

(٥) مقاييس اللغة: ٤٩٠/٢ - ٤٩١ ، وينظر: المعجم القرآني، م ج: ١٨٦/٢.

(٦) سورة الطارق، الآية ١١.

منها رجع)) [١]. كما ذكرها ابن دريد الأزدي (ت ٣٢١هـ) ، حيث قال بخصوص لفظة الرجع قائلًا: ((الرجع: الغدير أو الماء يترقرق على وجه الأرض. وقالوا: الرجع: المطر)).

يقول أبو عبيدة: قال الشاعر يصف سيفًا[٢]

أبيض كالرجع رسوب إذا ما ثاخ في محتفل يختلي

وقال الليث: ((رَجْج الجواب، ورجْع الرَّشق في الرَّمي ما يرد عليه. وقال: الرَّجع: نبات الربيع، وقيل الرَّجع الغدير، وجمعه رُجعان)) [٣].

في حين ذكر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) هذه اللفظة قائلًا: ((رَجَع: الرَّاء والجيم والعين أصلُ كبير مُطردُ منقاس، يدلُّ على ردٍّ وتكرار. تقول: رَجَعَ يرجعُ رجوعًا إذا عاد، والرَّجع: رَجْعُ الدَّابّة يديها في السَّير, فأمَّا الرَّجع الغيث، وهو المطر في قوله جلَّ وعز: وذلك أنها تغيث وتصب ثُمَّ ترجع فتغيث))[٤]، وقال:

وجاءت سلتم لا رَجْع فيها ولا صدْع فتحتلب الرِّعاء [٥]

ويبدو لي أنَّ أصل هذه المفردة كما ذكرها أهل المعاجم بدءًا من الخليل وتبعه باقي المُفسِّرين وأصحاب المعاجم، ودلالتها تنحصر في المطر والنفع والسماء ذات الرجع أي ذات المطر بعد المطر, سُمي به ؛لأنّه يتكرر كلُّ سنة ويرجع ومقتضى الآية الكريمة وسياقها يحتمل هذه الدلالة اللغوية للفظة الرَّجع التي ذكروها.

(١) العين: ١٢٦/٥.

(٢) البيت في ديوان الهذليين:٢ /١٣ .

(٣) جمهرة اللغة :١ /١٢٦ .

(٤) مقاييس اللغة:٢ /٤٩٠ -٤٩١ .

(٥) البيت: لم ينسب في نسخ العين التي بين ايدينا ولا المراجع ,والبيت مما انشده (أبن بري)في السَّنة الصعبة كما جاء في العين: ٢٢٧/١ ,ولسان العرب:١٢ /٣٠١ . .

الخاتمة

كشفَت المقالة في بعضِ مواضِعها عن بعض الآياتِ المتحدَةِ في الأسلوبِ والسياقِ فضلاً عنْ وحدةِ الموضوعِ حيال لفظة (السماء)، بلْ إنها مصفوفاتٌ تمخضتْ عنْ قواعدَ أسلوبيةٍ في الاستدلالِ والاحتجاجِ ، وتمحورتْ جميعُها حولَ وحدانيَّتِهِ تعالى وإثباتِ القدرةِ المتفردةِ لهُ سبحانَهُ ، وقد اندرجَ ذلكَ ضمنَ مشاهداتٍ وإيقاعاتٍ مؤثرةٍ تَكشِفُ كلُّ آيةٍ منها ضمنَ لوحةٍ فنيةٍ ذاتِ عناصرَ متجانسةٍ عن جانبٍ منْ جوانبِ مضان العمل ذي المفرداتِ العديدةِ ، وما اعترى ذلكَ منْ كشفٍ عنْ أساليبَ بلاغيةٍ متعددةٍ ساهمتْ في نسجِ النظمِ وكشفِ الدلالاتِ والمعاني الساميةِ التي انفرد بها الكتاب الكريم.

المصادر

-القرآن الكريم.

-الأساس في التفسير ,سعيد حوّى(ت:١٤٠٩),دار السلام -القاهرة ,الطبعة السادسة ,١٤٢٤.

-تاج العروس من جواهر القاموس, محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني,أبو الفيض,الملقب بمرتضى الزّبيدي,(ت:١٢٠٥),تح:مجموعة,دار الهداية,جماعة عبد العليم الطحاوي,راجعه عبد الكريم العزباوي وعبد الستار أحمد فرج,مطبعة حكومة ,الكويت, ١٩٧٤م.

-تهذيب اللغة,محمد بن أحمد الأزهري الهروي,أبو منصور، (ت:٣٧٠هـ),المحقق:محمد عوض مرعب , ط١,دار إحياء التراث العربي -بيروت,٢٠٠١م.

-جمهرة اللغة, أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت:٣٢١ هـ), تحقيق: رمزي منير البعلبكي, ط١ , دار العلم للملايين , بيروت, ١٩٨٧ م.

-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون,أبو العباس,شهاب الدين,أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، (ت:٧٥٦هـ),المحقق:د.أحمد محمد الخراط,دار القلم , د.ط,د.ت,دمشق.

-كتاب العين,الفراهيدي,أبو عبد الرحمن, الخليل بن أحمد,تح:محمد أبو الفضل,د.ت.

-لسان العرب,أبن منظور,أبو الفضل,جمال الدين محمد بن مكرم,ط٣,بيروت,دار صادر, ١٩٩٤ م.

-مختار الصحاح,زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي الحنفي,تح:يوسف الشيخ محمد,المكتبة العصرية ,ط٥,الدار النموذجية,صيدا,١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.

-معاني القران, أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي,الفراء، (ت:٢٠٧هـ),تح: أحمد يوسف النجاتي,ومحمد علي النجار,وعبد الفتاح الشلبي, ط١,د. ت الدارالمصرية للتأليف والترجمة,مصر.

-المعجم القرآني (دراسة معجمية لأصول ألفاظ القرآن الكريم),د.حيدر علي نعمة ود. أحمد علي نعمة , ط١ ,مطبعة الشيماء -بغداد ,٢٠١٣، مطبعة على نفقة الجامعة العراقية.

-معجم مقاييس اللغة, أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي,أبو الحسين (٣٩٥ هـ),تحقيق:عبد السلام محمد هارون,دار الفكر -دمشق , ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

Sources:

The Holy Qur'an - The Foundation of Interpretation, Saeed Hawwa (d. 1409), Dar Al-Salam - Cairo, sixth edition, 1424. - The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary, Muhammad ibn Muhammad ibn Abd al-Razzaq al-Husseini, Abu al-Fayd, nicknamed Murtada al-Zubaidi, (d. 1205), edited by: Dar al-Hidaya Collection, Abd al-Aleem al-Tahawi Collection, reviewed by Abd al-Karim al-Azbawi and Abd al-Sattar Ahmad Faraj, Press. Government, Kuwait, 1974 AD. - Refinement of the Language, Muhammad bin Ahmed Al-Azhari Al-Harawi, Abu Mansour, (d. 370 AH), edited by: Muhammad Awad Moraib, 1st edition, Arab Heritage Revival House - Beirut, 2001 AD. -Jamharat al-Lughah, Abu Bakr Muhammad bin al-Hasan bin Duraid al-Azdi, (d. 321 AH), edited by: Ramzi Munir al-Baalbaki, 1st edition, Dar al-Ilm Lil-Millain, Beirut, 1987 AD. -Al-Durr al-Masun fi Ulum al-Kitab al-Maknoun, Abu al-Abbas, Shihab al-Din, Ahmad bin Yusuf bin Abd al-Da'im, known as Samin al-Halabi, (d. 756 AH), investigator: Dr. Ahmad Muhammad al-Kharrat, Dar al-Qalam, d.d., d.d., Damascus. . -The Book of Al-Ain, Al-Farahidi, Abu Abdul Rahman, Al-Khalil bin

Ahmed, edited by: Muhammad Abu Al-Fadl, D. T. - Lisan al-Arab, Ibn Manzur, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Muhammad bin Makram, 3rd edition, Beirut, Dar Sader, 1994 AD. -Mukhtar Al-Sahah, Zain Al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abi Bakr Al-Razi Al-Hanafi, edited by: Yusuf Al-Sheikh Muhammad, Al-Maktabah Al-Asriyah, 5th edition, Al-Dar Al-Tawdhamiyya, Sidon, 1420 AH - 1999 AD. - Meanings of the Qur'an, Abu Zakaria Yahya bin Ziyad bin Abdullah bin Manzoor Al-Dailami, Al-Farra', (d. 207 AH), edited by: Ahmed Yusef Al-Najati, Muhammad Ali Al-Najjar, and Abdel Fattah Al-Shalabi, 1st edition, d. The Egyptian House for Authoring and Translation, Egypt. - Dictionary of Language Standards, Ahmed bin Faris bin Zakaria Al-Qazwini Al-Razi, Abu Al-Hussein (395 AH), edited by: Abdul Salam Muhammad Haroun, Dar Al-Fikr - Damascus, 1399 AH - 1979 AD.